السياحة الريفية في مصر: التوجه نحو تنمية الإنسان والمكان

أسامة عبود أحمد

مدرس مساعد إدارة اعمال بمعهد العجمي العالي

تمثل السياحة موردا مهما من موارد واقتصاديات كثير من دول العالم لاسيما الدول النامية، كما أن السياحة نشاط بشري يقيس السلوك الإنساني في ظل الموارد المتاحة، كما أن هناك دورا كبيرا جداً مشترك بين السياحة والتنمية الريفية من خلال العلاقة بين السياحة والزراعة والأنشطة المرتبطة بها، إذ أن السياحة أصبحت مؤخراً تقدم نماذج من الازدهار والنمو الاقتصادي والحضري للمناطق الريفية للحفاظ على المناظر الطبيعية، واستخدمت الأراضي المختلفة في المناطق الريفية، واعتبرت الصين، واسبانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وسويسرا خير مثال على ذلك، حيث ارتبطت السياحة الريفية فيها بأوجه ريفية متعددة، ليست فقط مرتبطة بالواقع الزراعي، وانما بقضايا العطلات في المناطق الريفية والمشي والتنزه، والتزلج، وركوب الخيل والجمال، وحمامات الشمس والاستمتاع بالبحيرات العذبة، وتربية الحيوانات، ومواسم الحصاد، وصيد الأسماك، وجني العسل، وركوب الدراجات الجبلية والتنزه بين الجبال والتلال ... الخ.

بشكل عام يمكن تعريف السياحة الريفية على أنها شكل من أشكال السياحة التي تتم ممارستها في البيئة الريفية، لكن هذا التعريف مجمل وغامض بعض الشيء، وقد أشار (Aurel petru, 2010) إلى أن السياحة الريفية تتضمن سلسة من الأنشطة والخدمات التي يقدمها المزارعون من سكان المناطق الريفية من أجل جذب السياح وهذا يولد عوائد إضافية لهم ولأعمالهم، ومن الملاحظ كذلك أن السياحة الريفية لا ترتبط بهذا النوع من السياحة فحسب ولكن ترتبط بإقامة الرحلات في وسط الطبيعة وقضاء عطلات أهل المدينة في بيوت ريفية ذات مواصفات معتمدة لكي يعايشوا حياة أهل الريف أثناء الإجازة[1] .

كما يمكن تعريفها بأنها مجموعة من الأنشطة والخدمات والمتطلبات المرتقب توفرها، وإدارتها من قبل المزارعين وسكان الريف، بمشاركة ومعاونة وتحت إشراف المسؤولين بالجهات المعنية المختصة، وفق تخطيط وتنسيق هادف للحفاظ على البيئة الطبيعية والاجتماعية والحضارية بكل عناصرها، اعتمادا على استخدام الأرض والطبيعة وغيرها من المغريات المتوفرة في الريف، بهدف جذب السائحين والزائرين

[1] Aurel Petru Darău, Maior Corneli, Mihai Larian Brad , Eugeniu Avram, the concept of rural tourism and agritourism, “Vasile Goldiş” Western University of Arad, 2010, p 01.

للمناطق الريفية واستمتاعهم وتعلمهم، بما يسمح بتوليد دخل إضافي للأعمال الزراعية، وبما يساهم في تحسين نوعية الحياة الريفية وأفرادها.

كشفت أحدث دراسة للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء والمنشورة في ٢٠٢٢ في مصر للعام أن ٥٧.٨٪ من سكان مصر يعيشون في الريف حيث بلغ عدد سكان الريف المصري ٥٤ مليون ٥٥٨ ألف ٤٢٠ نسمة بينما سجل سكان المدن ٤٠ مليون ٢٤٠ ألف ٤٠٧ نسمة خلال الفترة الماضية.

وشهدت بعض المحافظات ارتفاعًا في عدد سكان الريف بها جاء على رأسهم محافظة المنيا، بعدد سكان ٤.٥ مليون نسمه بنسبة ٨٢٪ من إجمالي عدد سكانها البالغ ٥.٤ مليون نسمة يليها محافظة البحيرة بعدد سكان ٦.١ مليون نسمة يمثل سكان الريف منهم ٨١.٨٪ من إجمالي عدد السكان. وفي المركز الثالث جاءت محافظة قنا بعدد سكان ٢.٥ مليون نسمة في الريف بنسبة ٨١.٢٪ من إجمالي عدد سكانها البالغ ٣.١ مليون نسمة. وجاءت محافظة بني سويف في المركز الرابع بنسبة ٧٩.٩٪ من سكانها البالغ عددهم ٣.١ مليون نسمة يقطن منهم ٢.٤ مليون نسمة في الريف، واحتلت محافظة سوهاج المركز الخامس بعدد سكان ٣.٩ مليون نسمة يعيشون في الريف بنسبة ٧٨٪ من عدد سكانها البالغ ٤.٩ مليون نسمة وسجلت المنوفية عدد سكان ٣.٤ مليون نسمة يعيشون في المناطق الريفية بنسبة ٧٩.٣٪ من عدد سكانها البالغ ٤.٣ مليون نسمة وجاءت في المركز الأخير محافظة البحر الأحمر حيث سجلت ١٢ ألف ٥١٦ نسمة يقطنون المناطق الريفية بها بنسبة ٣.٥٪ من عدد سكانها البالغ ٣٤٧ ألف ٣٧٢ نسمة[1].

تمتاز مصر بوجود مناطق ريفية متنوعة طبقا لتنوع مواقعها الجغرافية وانعكاس هذا التنوع الجغرافي على وجود تنوع بيئي واجتماعي ثقافي وعمراني بالإضافة إلى التنوع في الاقتصاد المحلي والحرف والصناعات اليدوية والفلكلور المميز والطعام الخاص بكل منطقة، والتي تمثل في مجموعها مقومات للاقتصاد المحلي من جهة ومقومات جاذبة للريف من الجهة الأخرى وفي حالة دعمها يكون لها تأثير طردي على تنشيط الدور السياحي للمناطق والقرى بالريف المصري.

لذلك هناك أهمية للتوجه لتطوير الريف المصري في إطار منظومة السياحة الريفية المستدامة لتعظيم الاستفادة من توجيه صناعة السياحة الى مناطق الريف المصري، إلا أن تحقيق المنظومة بطريقة مستدامة

[1] تقرير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، مصر.

يتطلب رؤية هادفة وطامحة، خاصة وأن هناك عشرات الفرص التي يمكن الاستفادة منها لتنمية السياحة الريفية المستدامة وانعكاس ذلك على المناطق الريفية في مصر، على غرار أمريكا والدول الأوروبية والغربية المتقدمة، والتي بدأ فيها هذا النوع من السياحة منذ أكثر من ١٠٠ عام[1].

تكمن أهميه السياحة الريفية في التالي:

- رفع رفاهية سكان الريف من خلال توفري عوائد مالية إضافية
- تقليل ومكافحة ظاهرة النزوح الريفي وتنمية المناطق الريفية.
- المساهمة في تقليص الفجوة بين المناطق الحضرية والريفية.
- رفع كفاءة البنية التحتية الخدمات المقدمة إلى الريف مثل الطرق والمواصلات وخدمات المياه والصرف الصحي والاتصالات.
- لا يمكن اعتبار السياحة الريفية كقطاع مهيمن في الأرياف ولكن يمكنها أن تشكل قوة اقتصادية إضافية للاقتصاد الوطني بأقل التكاليف.
- الاستمرار في مزاولة النشاط الزراعي والحفاظ على الهوية الريفية.
- تبادل الخبرات والثقافات.
- للقطاع السياحي دور مهم في الاقتصاد الريفي من خلال تأمين فرص عمل لجميع الفئات من عمال مهرة وغير مهرة وتأمين الدخل للأسر الزراعية وغير الزراعية.
- القطاع الزراعي لم يعد قادرا وحده على أن يستوعب الزيادة في أعداد السكان في المناطق الريفية لا سيما أن معظم الدول النامية تتصف بارتفاع معدلات نموها السكاني والكثافة السكانية لاسيما في المناطق الريفية.
- المراكز الحضرية ولأسباب اقتصادية واجتماعية وبيئية لم تعد قادرة على استيعاب المهاجرين المتدفقين اليها من المناطق الريفية بشكل مستمر.

وقد ازداد الاهتمام بالاستجمام في المناطق الريفية بداية من القرن التاسع عشر نتيجة زيادة الضغط النفسي على سكان الدول الصناعية واتساع المدن الصناعية وازدحامها، الأمر الذي أثر في جمالية هذه المدن للاستجمام والراحة والرغبة في الهروب من صخب المدن والتمتع بالطبيعة الريفية واشباع الرغبة لدى

[1] احمد، مروة، (2017)، السياحة الريفية؛ كنز لم يستغل بعد.

السياح باستكشاف المناطق الجغرافية غير المعروفة بالنسبة له والمشاركة في بعض الأعمال الزراعية والإضافة إلى تجاربه وخبراته الحياتية ، وقد يرجع هذا الي انتشار السيارات الخاصة وتأمين المواصلات المريحة للمناطق الريفية، لاسيما توافر الكثير من الخدمات الهامة مثل تطبيقات الانترنت وسهولة الحجز والتواصل مع الجهات المختصة لمثل هذه الأنواع من النشاطات.

وقد زادت نسبة السياحة الريفية من (١٠ : ١٥٪) من ناتج السياحة الدولية (Parker & Khare, 2005) كما أن من دواعي أهميتها أنه طبقا للدراسات الخاصة بالتنشيط السياحي وجد أن كل مليون سائح يقابله توفير عدد ٢٠٠ ألف فرصة عمل.

وبالنظر إلى دولة مثل فرنسا باعتبارها الأكثر استقبالا للسياح في العالم حيث تستقبل أكثر من ٨١ مليون زائر سنوياً، وهو ما يزيد ٢٠ مليونا عن زوار الولايات المتحدة وذلك على الرغم من أن مساحة أمريكا تزيد ١٥ مرة عن فرنسا وهذا حسب إحصائيات المنظمة العالمية للسياحة، وتمثل السياحة الريفية بفرنسا ثلث السياحة الإجمالية (٢٩.٣٪) ويتمثل ٧٠٪ من هذه الأخيرة في السياح الذين قدموا لزيارة أصدقائهم أو أقاربهم و ٣٠٪ عبارة عن سياح قدموا بهدف الاستكشاف والترفيه.

تتشكل السياحة بفرنسا من ٦٠٪ من السياحة الساحلية وتليها السياحة في المناطق الحضرية ٢٢٪ وبعدها السياحة الريفية ١٨٪ وهي تضم المناطق الريفية والجبلية[1]، وتتنوع طرق الاستضافة للسياح في المناطق الريفية بين الأكواخ العائلية، وغرف الاستضافة، والتخييم في الهواء الطلق، والإقامة الريفية الفاخرة في القصور والبيوت العتيقة التي بنيت في الفترات السابقة[2].

وبالنظر إلى واقع الريف المصري الذي يتميز بالتنوع طبقا لخصوصية الحالة الجغرافية الفريدة في التشكيل الجغرافي للحالة المصرية، لذلك نجد تنوعا في الأرياف المصرية ففي التنوع يوجد الاختلاف ويقصد بذلك أن مجموع مساحة المعمور المصري الأساسية تنحصر في الدلتا شمالا ومنطقة وادي النيل جنوبا حول نهر النيل والذي يضم مجموعة من الجزر النيلية على طول مسارة والذي يبدأ ببحيرة ناصر منتهيا بالمصبين الرئيسين وهما فرعا دمياط ورشيد واللذان تتواجد على محوريهما المتعامد مجموعة من البحيرات. كل ذلك في داخل حدود الوادي اما خارجة وعلى جانبيه فتوجد كل من الصحراء الشرقية والغربية حيث

1 omité régionale de tourisme en France, Chiffres clés du tourisme en FrancheComté, Ed. 4151, p. 42.
2 Les chiffres clés du tourisme en région Centre-Val de Loire, France, 2014, p. 01.

التباين في التشكيل الجغرافي ما بين سلسلة جبال في الجانب الشرقي ومجموعة من المنخفضات والواحات في الجانب الغربي منه ونظرا لهذا التباين فانه أمكننا وضع تصنيف الأرياف وتنوعها طبقاً لهذا التوزيع الجغرافي إلى[1]:

المناطق الريفية التقليدية في وادي النيل: والمتمثلة في صعيد مصر وهي مناطق مميزة تراثيا وبها العديد من المناطق الأثرية ومشيدة على آثار المدينة القديمة لذلك هناك العديد من الأماكن التي ترجع للعصور المختلفة السابقة كما ان بها تنوع زراعي وبيئي.

المناطق الريفية بالدلتا: والمتمثلة بقرى الوجه البحري وبها العديد من الصناعات والحرف اليدوية وتربطها شبكة مواصلات وبنية تحتية جيدة ويمكن الاعتماد عليها.

الجزر النيلية: تتميز بوفرة من المناظر الطبيعية والبيئة المختلفة نتيجة تميز موقعها بالنيل، وتتنوع أنشطة الصيد والنزهات بمراكب الصيد والعديد من الحيوانات البرية ومشاهد الغروب.

المناطق الريفية الواقعة في المنخفضات: مثل التي توجد في الفيوم والمحافظات الشمالية والتي تتميز بالعديد من البحيرات العذبة والمالحة والمحميات الطبيعية والزراعات المختلفة.

المناطق الريفية بالواحات: وهي مزيج من البيئات الصحراوية والزراعية وبها العديد من المنتجات التراثية المميزة والأماكن الفريدة نادرة الوجود بالعالم.

المنتجعات الريفية المستحدثة: والتي ظهرت على طول الطرق الصحراوية مثل طريق مصر الإسكندرية ومصر السويس والطريق الغربي.

لذلك نقترح مجموعة من التوصيات التي قد تساعد في تنمية السياحة الريفية بمصر:

- تأهيل القوى البشرية التي تسهر على متابعة ومراقبة قطاع السياحة الريفية، من خلال إنشاء إدارة مستقلة في كل محافظة وتتبع إدارة مركزية للسياحة الريفية يتم من خلالها اختيار وتأهيل الكوادر البشرية للتعامل مع السياح وتطبيقات البرامج المختلفة ومعرفة الأسس والمعايير المعتمدة الواجب توافرها

[1] Gihan Hassan Sayed, Yasmine Essam, the pillars of activating sustainable rural tourism in rural Egypt, Journal of Urban Research, Vol. 29, Jul 2018 P.75-101, Faculty of Urban & Regional Planning, Cairo University.

في أماكن الإقامة ووسائل المواصلات والأطعمة والمشروبات ووسائل الترفيه والراحة وبرتوكول النظافة والنظام.

- تطوير قطاع السياحة الريفية بأسلوب منضبط ومستديم ومجدٍ اقتصادياً من خلال استغلال ما تزخر به مصر من تنوع ريفي مميز ومناطق أثرية وقصور عتيقة يمكن استغلالها في مختلف مناطق الوطن.
- تفعيل مسؤوليات الجهات المختلفة ذات العلاقة بالتنمية السياحية عموما والريفية على وجه الخصوص، وفق برامج محددة والترويج لها خارجياً وداخلياً والعمل بشكل متناسق مع مختلف القطاعات مثل الصحة والزراعة والأمن والمواصلات ... الخ.
- مراجعة الأنظمة والإجراءات المحلية والمتعلقة بقطاع السياحة، والتنمية الريفية، والزراعية، والحيوانية، كذلك الاعتماد على المهرجانات والمواسم الزراعية والمعارض والمسابقات المحلية مثل مواسم الحصاد، ومهرجانات سباقات الخيول والكلاب والهجن، ومعارض ترويج المنتجات المحلية مثل منتجات عسل النحل، والزيتون، والتمور، والذرة... الخ.
- العمل مع المؤسسات الوطنية والاعلام والمواطنين في إيجاد فهم واعٍ للسياحة الريفية وتوضيح مفهومها العام والخاص.
- تنويع طرق الجذب السياحي من خلال وضع كتالوجات وتطبيقات إلكترونية تضم مختلف المناطق السياحية الريفية بمصر وطرق الاستضافة خاصة التقليدية حتى يتمكن السياح من التعايش مع حياة أصحاب الأرياف.
- اللجوء لمنظمات التسويق الخاصة بالأسواق المستهدفة لعرض المنتج السياحي الريفي وعرض مقوماته.
- التجديد المستمر لمخاطبة أسواق جديدة للسياحة لتنويع الأسواق المستهدفة من السياح بجانب الأسواق الحالية.
- عمل صفحة تواصل بكل مقصد سياحي ريفي لعرض منتجه السياحي للإعلان عن مقوماته والتسهيلات التي يقدمها والعروض السياحية وتكلفة الاقامة وكيفية الحجز المباشر وبدائل الحجز المختلفة لتلبية التنوع في رغبات السياح وتوفير النظم المختلفة للحصول على إمكانية التواصل او على حجز سياحي بالفرصة المباشرة مع المقصد السياحي الريفي.

- اعتماد المزارع والمخيمات والبيوت والأكواخ الأماكن السياحية والإشراف عليها من الجهة المختصة وفق الضوابط والمعايير المقررة للسلامة والنظافة، واعتماد الأشخاص العاملين فيها وفق معايير المتبعة من التدريب والتأهيل والاستحقاق .